وقفت أمام بيتها حزينة

نسمة فجر الربيع ثوبا طواه ليل الشتاء و استيقظت أشجار الكوخ و التفاح وجرت الجداول راقصة بين الصخور متدفقة أغنية الفرح والسرور و تزينت ربات الطبيعة الطيور والعصافير فرحا من قدوم يوم جديد إليهم .. وانبثقت الأزهار من قلب الطبيعة انبثاق الزبد من البحر... وأنا مضطجع هناك على سريري ناظرا إلى كل هذا الفرح والسرور وأنا أيضا في بحر الفرح في ذكرى أيام جلبت إلي أكثر ما تحس به هذه العصافير وهذه الطبيعة وإلى أيام ازدهرت في حياتي وعن حبيبتي... ~~وكان~~ أدفعتني النسيمات الهادئة اللطيفة خلال الشباك من فكري وعلامة دموع الفرح هناك على خدي واضحة .. أرسلتها ثم أقوم وأمشي نحو الحمام ... واه .. يوم جديد ... تنهدت .. أدعو الإله للحب والخير...

× × × × × ×

لما انتهيت من استخدام الحمام ... استغرقت دقيقة كاملة في غسل يدي مغرقا في الفكرات .. وأنا أرفض النظر إلى المرآة وألقى نظرة خاطفة في حسرتي وكلما أنظر إلى المرآة .. أرى هناك غريبا آخر ... رجل بجسد

غريب جدا أكلت النار معظمه ... غريبا جدا ... وذلك
النظر يجليني إلى ذلك اليوم الذي جرت فيه الواقعة التي دمرت
جميع حياتي وآمالي وكل ما كان لي حينئذٍ وانتزعت الجمال
من وجهي ومزقت معظم جسدي بالنيران . حتى طارت فكرتي
إلى ذكرى تلك الأيام ... كنت فيها في قمة المرح والسرور ...
مع صديقتي .. هي التي خطفت مني قلبي وحبي والتي كانت
فلذة كبدي .. إلى الليلة من اليوم الواحد بسبتمبر ،

كنت أقود سيارتي بلا مبالاة ومعي حبيبتي وهي
تحدثني بكلماتها العذبة الجذابة .. ولم تزل تتحدثني
حتى أن أجبت إلى نظر وجهها كالبدر وخدّيها كالورديتين
الفرمزيتين وشفتيها كبركة سباحة أرجو أن أغوص إلى
أعماقها بشدة .. حتى أن سمعتها تقول :
" يا حبيبي .. إن العيش بسيط أمامنا .. وعندك
عديد من الأموال .. فالدهر الواسط بين أيدينا نمضي فيها
بالسياحات والسفرات حتى أني أريد أن أزور كل العالم ...
فيا حبيبي .. اترك كل أموالك لي ... وأشعر حبك لي ... "
كأن كلماتها المستقطرة من فمها كجواهر
لا أنسى إجهائها بتعدادها وزينتها وجمالة صوتها ...

"نعم يا صاحبتي... فاقتربي مني... إنني لا أحتاج مالا ولا بيتا وأنت هنا... فلم أحتاج كل ذاك... فأنت رفيقي وأنت حياتي... بنعم وبنعرق كل حياتنا بنزور وبنبيع وبنباوع مبين العالم... وبسليني أعطيك... لأنك من حياتي..."

أظهرت ابتسامتها كأنها هي ملكة من الجنة أو جور منها... ثني كل أطرافها بنور وجهها... وقد خيم الليل على بشمالي المدينة وطلع القمر وراء الأفق تشيع نورا لطيفا على البنيان الرخامية... فصاحبتي وجهها جميلة جدا في ذلك النور اللطيفة للقمر... حتى لا أتيق أن ألفت نظري من وجهها كزهر الورد - ولم نزل ننظر بعضنا بعضا... حتى أن بسمعنا صوت حافلة بتسرع نحونا وكانت الوقت قليلة... بل أجذبت البرار ولو كانت صعبا... اتخذت عزار التضحية لحياة حبيبتي... وتقدمت بذهني بسرعها... وقذفت بابها وألقيتها خارج السيارة... نعم لا بأس... أريد أن تكون هي حية... ولو لم أكن... في تلك الليلة... اصطدمت الحافلة على سيارتي وكنت لا أسمع شيئا إلا البكاء والصراخ... ولا أرى شيئا إلا بعض النيران التي ترتفع على جسدي كبيرة بكبيرة... ولكن الصوت لم يخرج... وغابت عقلي مني مهلا... مهلا مهلا...

xxx x xxx

وكانت كل ذلك قبل بسنة أشهر.. نعم...
ثمن بسنة طويلة.. والآن قد انسحبت من المستشفى
وخلعت الضمادات التي كانت أحيطت بكل جسدي.. وأنا أرفع
يدي.. وألمس الجانب الأيسر من وجهي.. والجلد تحت لمسة
خفيفي وملابسي وألمس الثوب هنال شائعة معظم الجانب
الأيسر من جسدي.. الجلد المجعد من الحريق.. نعم.. لا أمكن
تفاديها بشعري أو ملابسي.. بل تكون هناك دائما...
تذكرني دائما عن تلك الليلة التي دمرت الأجزاء الضئيلة مني..
وحبيبتي لم أرها منذ بسنة أشهر.. منذ
تلك الليلة.. لا أعرف لم لم تزرني في المستشفى.. بل أثق
بأنها تنتظر قدومي هناك في بيتها وحيدة وأنا هنا
الآن فقط بالقرب حيث تم الطبيب قد صنعني بالخروج
والإستظهار للشمس إلا بعد بسنة أشهر.. والآن يحق لي
الذهاب.. الآن فقط...
كذا اليوم أنا مسرور.. أي حبيبتي هناك
في بيتها أذهب إليها اليوم... بعد أيام طويلة تكتفي
مرة أولى.. كل هذه الأفكار وضعتني في قمة السرور كنت
أثق مما بأنها تقبلني بكل الحب.. وخرجت إلى بيتها حتى أن
من
بأبيت بيتها أبعد.. براه جميل بل بتحولات قليل من ما رأيتها من

قبل .. هل تهيأت بيتها لقدومي! غرقت في بحر السرور وليا
اقتربت من بيتها.. هناك نعل بئر بشاب.. ولا أجد نعل
حبيبتي .. وقفت لحظة وظننت أني ضال الطريق.. لا.. أعلم
جيدا أني بيتها... لا لم أخطأ.. هذا بيتها حقا هذا
الشاب.. أجل أخذت أدخل بال بيتها وفتحت الباب وخرج منه
شاب جميل... ولما أن لقيته نظره إلي لفت نظرة.. وعبا من
بنوي.. بذلك الوقت نفسه سمعت من خلفي صوت حبيبتي...
ولفتت رأسي.. ورأيتها واقفة هناك... وقلت لها "حبيبتي حبيبتي
اك..." لا لا تتحول... ولا تحبيبي وقلتها مرة أخرى.. فقال الشاب
"من هذا يا زوجي.. هل تعرفه" قالت "لا"...
الغريب
تحول ذلك بصوت لطيف.. ونظرت إليها
بنظرة يائس في الاكتئاب... لا تتحول وجهها.. الآن أشعر النساء
بعض الفتنة والشياطين. وأخذت أمشي من بيتها بعيدا.. وألقيت
إليها نظرة أخيرة.. وهي هناك واقفة بيأس في عينيها
نور وكأن في وجهها ابتسامة ساخرة سرقت مني كل أموالي
وحياتي.. وجي تحوه خطها وهي واقفة هناك أمام بيتها
حزينة الوجه بل ضاحكة القلب...!